

## الوقوف الهبطية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني

### - دراسة نحوية دلالية -

Elwokouf Elhabtia between grammatical industry and Quranic meaning - Semantic grammatical study-

بلقاسم سلطاني

جامعة ابن خلدون (الجزائر)، belkacem.soltani@univ-tiaret.dz

تاريخ النشر: 2023/07/10

تاريخ القبول: 2023/07/04

تاريخ الاستلام: 2023/06/25

#### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة نماذج من الوقوف الهبطية، المنسوبة إلى أبي جمعة الهبطي الذي اختار وقوفا معينة في القرآن، إلا أن بعض العلماء لم يرتضوا بعض اجتهاداته وأنكروا عليه اختياراته، إذ رأوا أن هذه الوقوف لا تستند أحيانا على وجه نحوي قوي، أو أنها ينتج عنها معنى ليس بمراد في الآية، أو يحتمل وجها ضعيفا من بين وجوه أخرى قوية، فجاء البحث ليدرس بعض النماذج التطبيقية مبينا أقوال علماء الوقف والنحو في الوقف المختار، مستندا إلى أقوال أهل التفسير.

الكلمات المفتاحية: الوقوف، الهبطية، النحو، المعنى القرآني

#### Abstract:

This research aims to study models of wokouf Elhabtia, attributed to Abu Jomoa Elhabti, who chose a certain stops in the Qur'an, but some scholars did not accept some of his jurisprudence and denied him his choices, as they saw that these stops is not sometimes based on a strong grammatical face, or it results in a meaning that is not intended in the verse, or potentially a weak face among other strong faces, the research came to study some applied models indicating the statements of endowment and grammar scholars in the .chosen endowment, Based on the sayings of the Scholars of interpretation

**Keywords:** elwokouf, elhabtia, grammar, Quranic meaning

المؤلف المرسل .

## المقدمة

الوقف والابتداء من علوم القرآن الضرورية التي يجب على كل مشتغل بالقرآن الكريم ألاّ يجهلها، لا سيما التالي لكلام الله تعالى، فهو علم يفصل بين الجمل القرآنية حسب المعاني المقررة لها، فهو حلية التلاوة، وزينة القراءة والأداء، وطريق إلى فهم كلام الله تعالى على أكمل وجه، فمعلوم أن القارئ لا يمكن أن يقرأ آيات عديدة في نفس واحد، فلا بدّ أن يقف ويستريح بين كل جملة قرآنية، فإن كان جاهلا لعلم الوقف والابتداء فقد يقف على موضع يفهم منه معنى غير مراد، وقد يبتدئ كذلك بموضع يفهم منه معنى غير مراد، لذا نجد العلماء قد حثوا على تعلم هذا العلم، وألّفوا فيه المؤلفات النافعة الكثيرة، وبينوا المواضع التي ينبغي للقارئ أن يقف فيها، وعللوا لتلك المواطن وما ينتج منها من معان.

والناظر في كتب الوقف والابتداء يجد كثيرا من تلك التعليقات لها علاقة بعلم التفسير وعلم النحو والقراءات والفقهاء وغيرها، كما نجد أصحابها يختلفون في تحديد موطن الوقف، وربما يتفقون في الموضع ويختلفون في بيان نوعه، وقد نجد منهم من يجوز الوقف على موضع، ويمنعه غيره بحسب ما تراءى لكل من معنى، ويتجلى هذا الأمر في عصرنا بما اشتهر عند المغاربة بالوقف الهبطي نسبة إلى أبي جمعة الهبطي الذي وضع هذه الوقوف تسهيلا على قراء القرآن وحفظته لكيلا يخطئوا في قراءة القرآن الكريم، وقد استمرت هذه الوقوف إلى يوم الناس هذا، ولاقت القبول عند كثير من العلماء. إلا أن بعضهم ردّ بعض وقوفه التي اختارها أو اجتهد فيها، وانتقدوها ورموها بالضعف.

ومن هنا يطرح البحث الإشكالية الآتية: على أي أساس يكون الوقف قويا أو ضعيفا؟ ولم أنقُد الهبطي في بعض وقوفه؟ وهل يعتمد الهبطي على الصناعة النحوية أم يقدم المعنى الذي يرمي إليه؟

وللإجابة على هذه الأسئلة جاء البحث في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول ترجمت فيه ترجمة سيرة حياة أبي جمعة الهبطي، والمبحث الثاني تناولت فيه سبب انتشار الوقف الهبطي عند المغاربة وموقف العلماء منه، ثم كانت الدراسة التطبيقية التي تطرقت فيها إلى بعض النماذج القرآنية من الوقوف الهبضية، ودرستها من الناحية النحوية ومن الناحية الدلالية مبينا سبب اختيار الهبطي لذلك الوقف، وقد اعتمدت على بعض مصادر الوقف والابتداء وكتب التفسير واللغة والنحو، منتهجا المنهج الوصفي الذي يناسب مثل هذه الدراسات، وتخلل ذلك شيء من التحليل والاستنباط.

## الوقف الهبضية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني

## 1 - ترجمة الشيخ الهبطي . رحمه الله .

### 1.1. اسمه ونسبه:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أبي جمعة الهبطي الإمام العالم المتصوف الزاهد القدوة التقي العابد، منسوب لبلاد الهبط أو هباطة، وهي مداشر من قبيلة سماتة إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب الأقصى، الصماتي الفاسي، ولد في حدود منتصف القرن التاسع الهجري، ثم حفظ القرآن الكريم وجوّده، ثم انتقل إلى فاس وأنهى دراسته بها (مخلوف، 1350هـ، ص277).

جاء في " نشر المثاني" ما نصه: «...محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي بالصاد والميم والتاء كما بخط من يعتمد عليه وصح عليه، فتوفي هذا بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة، قاله في الجذوة وقبره معروف بطالعة فاس قرب (الزريطانة)، وهو ممّن أخذ عن الإمام ابن غازي، وله قيد الوقف، رحم الله الجميع»(الكتاني، 1996، ص1060).

**1-2. علمه وفضله:** لا شك أن شهرة أبي جمعة الهبطي لم تأت من فراغ، فالرجل متضلع في علوم عديدة، منها علم القراءات، يقول سعيد أعراب: «وكان أبو عبد الله الهبطي رجل علم وعمل، وفضل وصلاح، خيرا تقيا، ورعا زاهدا، فقيها فرضيا، متبحرا في علوم العربية، عارفا بالقراءات ووجوهها، وقد حلاه في السلوة، بالشيخ الإمام، العالم الهمام، الفقيه الأستاذ، المقرئ الكبير النحوي الفرضي الشهير، الولي الصالح، والعلم الواضح، ثم قال: وكان عالم فاس في وقته أستاذا مقرئا عارفا بالقراءات، مرجوعا إليه فيها، وكان موصوفا بالخير والفلاح، والبركة والصلاح، ذا أحوال عجيبة، وأسرار غريبة...» (أعراب، 1968، ص92).

### 1-3. شيوخه وتلاميذه:

رغم اشتهار الشيخ الهبطي بعلمه وفضله في أوساط الناس، إلا أن كتب التراجم لم تذكر له من شيوخه وتلاميذه إلا النزر اليسير، يقول الحسن أحمد الوكاك: «...ومن الغريب أن يكون الشيخ الهبطي مشهورا ومغمورا في آن واحد، كان مشهورا في أوساط المغرب باسمه ووقفه، وكان مغمورا لدى الجميع فيما سوى ذلك، حتى إننا لنجهل الكثير عن شيوخه وتلاميذه وآثاره، فلم نكد نسمع من شيوخه أحدا سوى ابن غازي المكناسي، ومن تلامذته أحدا غير ابن عدة الأندلسي والشيخ السنوسي» (الهبطي، 1991، ص20).

ويستدرك الشيخ سعيد أعراب بقوله: «...والواقع أن الهبطي أخذ عن عدد وافر من رجالات الفقه والعربية، والحديث والتفسير، وعلم القراءات، وربما كان ابن غازي آخر من أخذ عنهم، من كبار شيوخ فاس، كما أنها لا تذكر من تلامذة الهبطي إلا أبا عبد الله محمد بن علي بن عدة الأندلسي، وهم . في الحقيقة. جم

غير لا يحصون كثرة، فالرجل سلخ الشطر الأكبر من حياته في تعليم القرآن، وتلقين رواياته، وقد طال عمره فألحق الأحفاد بالأجداد» (أعراب، 1968، ص91).

#### 1.4 - آثاره:

لم يعرف من آثار الشيخ الهبطي إلا كتاب "تقييد وقف القرآن الكريم" الذي يعدّ الطابع الشخصي للمدرسة القرآنية المغاربية، وهذا ما جزم به الدكتور الحسن أحمد الوكاك الذي قام بتحقيقه ودراسته (الوكاك، 1991، ص20)، لكن الشيخ ابن حنيفة العابدين رجح بأن الهبطي لم يكتب تأليفا في الوقوف التي اختارها ويرجع ذلك لاشتغاله بالتعليم، وإنما كان يعتني ببيان الوقوف عمليا، فنقلها عنه تلاميذه وأشاعوها (العابدين، 2006، 80، 81)، كما ذكر من آثاره كتاب آخر يسمى: "عمدة الفقير في عبادة العلي الكبير" (توناني، 2010، ص14).

#### 1.5. وفاته :

أمضى الهبطي شطرا كبيرا من حياته في خدمة القرآن الكريم وتدريس علومه، فكثرت تلاميذه الذين أشاعوا مذهبه في الوقف، وقيده بالأخذ عنه حتى اكتسح أقطار إفريقيا كلها لا سيما بلدان المغرب الإسلامي، وأصبحت وقوفه مدونة في المصاحف المضبوطة برواية ورش عن نافع المتداولة في هذا الجزء من بلاد الإسلام، وقد توفي بفاس سنة 930 من الهجرة ودفن بها (الساعاتي، 2000، ج2 ص252).

#### 2. الوقف الهبطي عند المغاربة وموقف العلماء منه:

ظهر الوقف الهبطي بالمغرب خلال القرن العاشر الهجري وبدأ ينتشر شيئا فشيئا حتى عم المغرب الأقصى بواديه وحواضره، بل وحواضر الجزائر وتونس، إلى حدود ليبيا شرقا وإلى حدود توات والقنادسة والعيون جنوبا، وقد استغرق ذلك قرنين كاملين (الهبطي، 1991، ص148).

وتجدر الإشارة إلى أن المغاربة . قبل الهبطي . كانوا يأخذون بمذهبين في الوقف هما: الوقف على رؤوس الآي أو الأخذ بمذهب التمام في الوقف، إلى أن جاء الهبطي . رحمه الله . فوضع تقييدا لوقف القرآن بما أوحى إليه اجتهاده ، أو بما أخذه عن مشايخه، أو بما وصله عن العلماء السابقين، فانتشر مذهبه والتزم الناس به من بعده، وبما أن العصمة ليست لأحد من البشر، فلم يسلم الهبطي من انتقادات قد وجهت إليه، وأثيرت حول تقييده ادعاءات، وارتفعت أصوات هنا وهناك، لكن الشيخ وقف لها بالمرصاد، ودافع عن اجتهاداته، وظل ينافح عن مذهبه، ويناضل عنه بالحجة والبرهان، حتى رست قواعده، وطبقت مناهجه في الحواضر والبوادي، وأصبح المذهب المعمول به في سائر جهات المغرب، بل في بلاد إفريقيا كلها. (أعراب، 1968، ص92)

وأما عن سبب وضع الهبطي . رحمه الله . هذا التقييد وحمل الناس عليه، فيقول الشيخ سعيد أعراب: «...وقد نزع بأن الذي حمله على ذلك، لما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة، وخطأ في الأداء، يقفون

#### الوقف الهبطي بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني

على ما لا ينبغي الوقوف عليه، ويصلون ما لا يجوز وصله وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب، وبالعكس، فيفسد المعنى، ويضيع الغرض الذي نزل من أجله هذا الكتاب الأقدس» (أعراب، 1968، ص92).

وأما عن سبب إقبال الناس عليه وسرعة انتشاره في أوساط القراء، فيعزو الدكتور الحسن أحمد الوكاك ذلك إلى ما وجدته عامة قراء المغرب في الوقف الهبطي من حسن الإعانة على تنظيم أصواتهم حال القراءة الجماعية في الحزب الراتب بالمغرب، وعلى تعيين أماكن الاستراحة، وكان ذلك لهم أفضل من الطريقة الوصلية التي كانت شائعة قبل الهبطي، بالإضافة إلى كون الشيوخ المقرئين هم أنفسهم الذين تولوا نشره وإشاعته في الحواضر والبوادي المغربية، وطلبتهم تبع لهم في ذلك، خاصة لما عرف في ذلك الوقت من طاعة الطلبة لشيخوخهم ولو بغير دليل علمي بسبب انتشار التصوف وقتئذ. (الهبطي، 1991، ص149)

هذا وإن الناظر في الوقوف الهبضية يجدها مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

. الأول: وافق فيه الهبطي غيره من العلماء كالداني وابن الأنباري والأشموني وغيرهم، وهو أكثر وقفه، ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى: (وأولئك هم المفلحون)[البقرة:05]، الوقف على كلمة (المفلحون) وقف تام عند علماء الوقف (الداني، ص15، ابن الأنباري، ج1ص493، الأشموني، ص29)، وقد وقف الهبطي عليها موافقة لهم في ذلك.

. الثاني: تركه ولم يعتمد لتجاذب الدليلين فيه، أو لترجيح أدلة الوصل عنده، أو لأنه الأصل والوقف طارئ، من ذلك قوله تعالى: (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجبِّ وأوحينا إليه لتنبئَنَّهُمْ بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)[يوسف:15].

فالوقف على (الجب) جائز كما ذكر السجاوندي (السجاوندي، ج2ص595)، ولم يقف عليه الهبطي .

رحمه الله .

. الثالث: انفرد به، والناس أمام هذا القسم فريقان: مؤيد ومنتقد.

فمن الذين انتقدوه . وهذا الذي يهمننا . السيد محمد المهدي الفاسي شارح دلائل الخيرات في رسالة له سماها "الدرة الغراء في وقف القراء"، وبعده الأستاذ المقرئ السيد محمد ابن عبد السلام الفاسي في فصول متعددة من كتابه المحاذي، وبعده الملك سليمان العلوي في رسائل وافقه عليها علماء عصره، وبعده الشيخ أحمد الصوابي، وبعده الشيخ المقرئ المحدث السيد أبو شعيب الدكالي، وبعده السيد عبد الواحد المارغني في رسالة مطبوعة مع "النجوم الطوالع على الدرر اللوامع" (الهبطي، 1991، ص153)، ومنهم كذلك المحدث الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتيب له سماه "منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي".

ومن المتأخرين أذكر منهم الدكتور الحسن أحمد الوكاك المغربي صاحب تحقيق تقييد الهبطي، حيث علق على بعض الوقوف، مبينا مواطن الضعف فيها، ذاكر وجه الصواب والشيخ ابن حنفية العابدين الجزائري الذي بين منهجية الشيخ الهبطي في وقوفه، إذ قام بتوجيه بعض الوقوف منتقدا لها.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات مازال الوقف الهبطي فاشيا في المغرب العربي لا سيما الجزائر، بل صار يحفظ كما يحفظ القرآن الكريم، إذ لا يعتبر القارئ حاذقا إلا إذا حفظ القرآن الكريم بمعية الوقوف الهبطية، وقد ساعد على ذلك القراءة الجماعية . كما أسلفنا القول . التي اشتهرت عند المغاربة.

وجل هذه الانتقادات التي وجهت إلى الوقوف الهبطية ترجع إلى الإعراب الخفي الذي ميز الوقوف التي اختارها الهبطي . رحمه الله . قاصدا اقتناص بعض المعاني . وأذكر هنا بعض النماذج القرآنية للتوضيح:

**النموذج الأول:** قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ صَ دَهَبَ اللَّهُ

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: 17]

**الوقف الهبطي:** وقف الهبطي رحمه الله على قوله تعالى: ( ما حوله)، ولم تشر المصاحف المطبوعة

برواية حفص إلى هذا الوقف.

**أقوال علماء الوقف:**

نصّ الأشموني على عدم جواز الوقف على (نارا) وكذا (ما حوله) لأنهما من جملة ما ضربهما الله مثلا للمنافقين بالمستوقد نارا، وبأصحاب الصيب، والفائدة لا تحصل إلا بجملة المثل (الأشموني، 1983، ص31)، ونصّ العماني كذلك في المرشد وعلل بما يشبه قول الأشموني (العماني، 1423هـ، ج1ص144). ولم يشر بقية علماء الوقف إلى هذا الموضع من الوقوف كالداني والسجاوندي والعماني.

**توجيه الوقف:**

الاختلاف في الوقف هنا مبني على الاختلاف في تحديد جواب (لما) الشرطية في قوله: (فلما أضاءت)، فمن قائل بحذف الجواب وهو رأي الزمخشري، وتقديره عنده: فلما أضاءت خمدت فبقوا في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار، وجعل هذا أبلغ من ذكر الجواب، وجعل جملة (ذهب الله بنورهم) مستأنفة أو بدلا من التمثيل (الزمخشري، 2006، ج1ص197، 198. الشوا، 2000، ص51).

وقد ردّ بعضهم على هذا بوجهين (ابن عادل، 1998، ج1ص376، 377):

أحدهما: أن هذا التقدير موجود ما يغني عنه، فلا حاجة إليه، إذ التقديرات إنما تكون عند الضرورات.

الثاني: أنه لا تبدل الجملة الفعلية من الاسمية.

ومن قائل بأن جواب (لما) هو جملة (ذهب الله بنورهم) وهو قول جمهور النحاة (ابن عطية، 2001، ج1ص100)، يقول أبو حيان: «...الذي يقتضيه ترتيب الكلام وصحته، ووضعه مواضعه أن يكون (ذهب

**الوقف الهبطية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني**

الله بنورهم) هو الجواب، فإذا جعلت غيره الجواب مع ترتب ذهاب الله بنورهم على الإضاءة كان ذلك من باب اللغز إذ تركت شيئاً يبادر إلى الفهم وأضمرت شيئاً يحتاج في تقديره إلى وحي يسفر عنه إذ لا يدل على حذفه اللفظ مع وجود تركيب ذهب الله بنورهم» (أبو حيان، 1993، ج1ص213).

واستناداً إلى ما ذكرت أرى بأن الهبطي رحمه الله أخذ بوجه حذف جواب(لَمَّا) اعتماداً على رأي الزمخشري المتفرد فيما أعلم، وهذا دليل على أن الهبطي يميل إلى خفي الإعراب، إضافة إلى ذلك هو احتمال كون جملة (ذهب الله بنورهم) دعائية بدل أن تكون خبرية (العابدين، 2006، ص128).

**النموذج الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ صَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء:33]

**الوقف الهبطي:** وقف الهبطي رحمه الله على قوله تعالى: (مما ترك)، وابتدأ بقوله: (الوالدان والأقربون)، ولم تشر مصاحف حفص إلى هذا الوقف.

#### أقوال علماء الوقف:

الظاهر أن الأشموني رحمه الله يجيز الوقف عليه كما يجيز وصله (الأشموني، 1983، ص78)، أما بقية علماء الوقف فلم يشيروا إليه في كتبهم. (ابن الأنباري، 1971، ص567، الداني، 1987، ص220، السجاوندي، 2006، ج2ص421، ابن النحاس، 1992، ج1ص164)

#### التوجيه النحوي:

لقد تشعب أهل التفسير واللغة في هذه الآية كثيراً، وذكروا فيها أقوالاً مختلفة نذكر منها اختصاراً ثلاثة أقوال: (ابن عادل، 1998، ج6ص354، 355، السمين الحلبي، ج3ص667، 668، ابن عاشور، 1981، ج5ص34، 35، الزمخشري، ج1ص523):

الأول: لكل إنسان موروث جعلنا موالى، أي: ورثاً مما ترك، ففي ترك ضمير عائد على كل، وهنا تم الكلام، فيتعلق مما ترك ب(موالى) لما فيه معنى الورثة، و(موالى) مفعول أول ل(جعل) التي هي بمعنى صير، والجار والمجرور (لكل) حل محل المفعول الثاني مقدم على عامله، ويرتفع الوالدان على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو بفعل مقدر، أي يرثون مما ترك، كأنه قيل: ومن الوارث؟

فقيل: هما الوالدان و الأقربون، والأصل: ولكل ميت جعلنا ورثاً يرثون مما تركه هم الوالدان والأقربون. الثاني: أن التقدير: ولكل إنسان موروث جعلنا ورثاً مما ترك ذلك الإنسان، ثم بين الإنسان المضاف إليه (كل) بقوله: (الوالدان) كأنه قيل: ومن هو هذا الإنسان الموروث، فقيل: الوالدان والأقربون، والإعراب كما تقدم في الوجه الأول قبله، والفرق بينهما أن الوالدين في الأول وارثون، وفي الثاني موروثون، وعلى هذا فالكلام في الوجهين جملتان.

الثالث: أن يكون التقدير: ولكل إنسان وارث مما تركه الوالدان والأقربون جعلنا موالى، أي: موروثين، وهنا يرتفع الوالدان ب(ترك)، وتكون (ما) بمعنى (من)، والجار والمجرور صفة للمضاف إليه (كل) والكلام على هذا ملة واحدة.

ومن خلال هذه الأوجه أرى أن الهبطي رحمه الله أخذ بأحد الوجهين الأولين في توجيه الآية، واستبعد الوجه الأخير لأنه لا يفصل بين الفعل وفاعله.

### النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:64]

الوقف الهبطي: وقف الهبطي رحمه الله على لفظ الجلالة "الله" وابتدأ: ومن اتبعك من المؤمنين، ولم تشر مصاحف حفص إلى هذا الوقف.

### أقوال علماء الوقف:

الوقف على لفظ الجلالة حسن عند ابن الأنباري، (ابن الأنباري، 1971، ج2ص687) وذكر ابن النحاس عن يعقوب أن الوقف على "الله" كاف، والكسائي والأخفش التمام عندهما (ومن اتبعك من المؤمنين)(ابن النحاس، 1992، ج1ص280)، ويرى الداني (الداني، 1987، ص289) والأشموني(الأشموني، 1983، ص119) أن الوقف على لفظ الجلالة كاف، ولم يستحسن العماني الوقف عليه (العماني، 1423هـ، ج1ص181) ولم يشر إليه السجاوندي(السجاوندي، 2006، ج2ص542)، وكل منهم قيد الوقف وعلله بأمور نحوية سأذكرها.

### التوجيه النحوي:

في قوله: "ومن اتبعك من المؤمنين" عدة أوجه (ابن عادل، 1998، ج2ص560، الطبري، ج14ص49، الزجاج، 1988، ج2ص423):

الأول: أن يكون "من" مرفوع المحل عطفًا على لفظ الجلالة، أي: يكفيك الله ومن اتبعك من المؤمنين، وبهذا فسّر الحسن البصري وجماعة، وهو الظاهر.

الثاني: أن "من" مجرور المحل عطفًا على الكاف في "حسبك" وهذا رأي الكوفيين، ومعناه: وحسب من اتبعك.

الثالث: أن محله نصب على المعية.

قال الزمخشري: « "ومن اتبعك" الواو بمعنى: مع، وما بعده منصوب، نقول: حسبك وزيدا درهم، ولا تجر، لأن عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع» (الزمخشري، 2006، ج2ص167):

الرابع: أن تكون "من" مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: ومن اتبعك كذلك، أي: حسبهم الله قاله أبو البقاء (العكبري، 2002، ص267).

## الوقوف الهبطية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني



ومن خلال هذه الأوجه أرى أن الهبطي رحمه الله أخذ بالوجه الأخير، ولم يأخذ بالأوجه الثلاثة الأولى لأنه لا يفصل بين المعطوفات.

والتحقيق الذي دلّ عليه استقراء القرآن الكريم، وبه قال أكثر علماء التفسير المشهورين أن قوله: "ومن عطف على الضمير في "حسبك الله" معناه: كافيك الله وكافي معك من اتبعك من المؤمنين، فإله يكفيك المؤمن وشور الأعداء وكل بلية، كما يكفي أتباعك من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم وهذا القول هو التحقيق، لأن الحسب الذي هو الكفاية من خصائص ربّ العالمين (السبت، 2003، ج5 ص2049).

#### النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ ص عَلِيٌّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [الأعراف: 105]

الوقف الهبطي: وقف الهبطي رحمه الله على قوله تعالى: (حقيق)، وابتدأ بقوله: عليٌّ أن لا أقول على الله إلا الحق.

#### أقوال علماء الوقف:

لم يشر أحد من علماء الوقف على كلمة "حقيق" والابتداء بما بعده، إلا أن الأشموني ذكر بأن الوقف عليه أحسن على قراءة نافع (الأشموني، 1983، ص111).

#### التوجيه النحوي:

ما يهمننا هو قراءة نافع الذي اتبع الهبطي قراءته، إذ قرأ بتشديد ياء (عليّ) (ابن الجزري، ج2 ص270)، ويكون في (حقيق) عدة أوجه نذكر منها (السمين الحلبي، ج5 ص404، 405، الأشموني، 1983، ص111، ابن خالويه، 1401هـ، ص159):

الأول: أن يكون "حقيق" نعنا ل(رسول)، أي: رسول حقيق من ربّ العالمين أرسلت.

الثاني: أن يكون خبرا بعد خبر، والخبر الأول هو رسول.

الثالث: أن يكون (حقيق) مبتدأ وخبره هو المصدر المؤول من قوله: (أن لا أقول)،

والمعنى: حقيق عليّ عدم القول على الله إلا الحقّ.

الرابع: أن يكون (حقيق) خبرا مقدّما، و(ألا أقول) مبتدأ مؤخر.

الخامس: أن يكون (ألا أقول) فاعلا ب(حقيق)، كأنه قيل: يحقّ ويجب ألا أقول.

ومما تقدم من هذه الوجوه فأرى أنّ وقف الهبطي على (حقيق) لا يتأتّى إلا مع الوجه الأول والثاني،

أي: أن يكون (حقيق) نعنا ل(رسول)، أو أن يكون خبرا بعد خبر.

ولمن يرى أن وصل حقيق أولى لأن المعنى: واجب عليّ ترك القول على الله إلا الحق، أي: الصدق،

والقصّة أن موسى لما قال لفرعون: «إني رسول من ربّ العالمين» قال فرعون: كذبت، فقال موسى: «حقيق

عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق»، أي: أنا حقيق عليّ قول الحق، أي: واجب عليّ قول الحق أن أكون قائله والقائم به (النسفي، ج2ص369).

### النموذج الخامس:

قال تعالى: (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون & على الأرائك ص ينظرون & هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ص) [المطففين: 36.34].

**الوقف الهبطي:** وقف الهبطي رحمه الله على قوله تعالى: (الأرائك)، وابتدأ بقوله: ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)، ولم تشر مصاحف حفص إلى هذا الوقف.

### أقوال علماء الوقف:

الوقف على (الأرائك) والابتداء بما بعده غير جائز عند ابن النحاس (ابن النحاس، 1992، ج2ص796)، والسجاوندي (السجاوندي، 2006، ج3ص1108)، ويرى العماني أنه تعسف (العماني، 1423هـ، ج3ص844)، وجوزه الأشموني (الأشموني، 1983، ص301)، ولم يشر إليه ابن الأنباري والداني.

### التوجيه النحوي:

اختلف النحاة في إعراب الجملة الاستفهامية (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) على ثلاثة أقوال: (السمين الحلبي، ج10ص727، أبو ابن عادل، 1998، ج20ص225، وأبو حيان، 1993، ج8ص435، والأوسي، 1415هـ، ج30ص78، الباقر، 1987، ج2ص1442، وابن الأنباري، 1980، ج2ص502، العكبري، 2002، ص533).

الأول: أنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، والاسفهام تقريرية معناه: قد جوزي الكفار ما كانوا يفعلون، ويكون الجار والمجرور (على الأرائك) متعلقا بـ (ينظرون)، و(ينظرون) حال من الضمير في (يضحكون)، والمعنى: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من سوء الحال.

الثاني: أنها جملة في محل نصب معلقة بالفعل (ينظرون) بعد إسقاط حرف الجر (إلى).

الثالث: أنها جملة معمولة لقول محذوف وقع حالا من ضمير (يضحكون) أو ضمير (ينظرون)، أي: يضحكون أو ينظرون مقولا لهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

ومن خلال هذه الأوجه أرى أن الهبطي رحمه الله جعل الجار والمجرور (على الأرائك) متعلقا بالفعل (يضحكون)، وعلق الجملة الاستفهامية بالفعل (ينظرون).

## الوقوف الهبطية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني

## خاتمة:

بعد هذه الدراسة اليسيرة للوقوف الهبطية توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1- الوقف الهبطي يمثل الشخصية المغاربية في الوقف، إذ انتقل من جيل إلى جيل بسبب الشيوخ الملتزمين بمواضعه، وتطبيقه في القراءة الجماعية المنتشرة في بلدان المغرب العربي.
- 2 - الوقوف الهبطية ليست كلها اجتهادات الهبطي، وإنما يوجد منها ما وافق فيه سابقه، ومنها ما ينسب إلى نافع القارئ، ومنها ما هو محض اجتهاد منه.
- 3 - أنّ أغلب الوقوف الهبطية مقبولة، لما ينتج عنها معان لها وجه في التفسير إلاّ مواضع أنكرها بعض العلماء منها ما بيناه في بحثنا هذا.
- 4 - ميول الهبطي إلى الإعراب الخفي الذي يحتاج إلى تقدير وإعمال الذهن، والذي يرمي به إلى معنى معين، وساعده في ذلك تجرّده في علم النحو.
- 5 - اختيار موضع الوقف يجب أن يخضع إلى المعنى وليس إلى الصناعة النحوية، وإن كان النحو ضروريا في فهم الوقوف القرآنية لأنه لا ينفك عنها، فبالنحو يستقيم الكلام ويكون مفيدا.

## مراجع البحث:

القرآن الكريم برواية ورش

1. ابن الأنباري، أبو البركات(1980)، البيان في غريب إعراب القرآن، ت: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
2. ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم(1971)، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
3. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ت: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. ابن خالويه، الحسين بن أحمد(1401)، الحجة في القراءات السبع، ت: عبد العال سالم مكرم، ط4، دار الشروق، بيروت.
5. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي(1998)، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر(1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
7. ابن عطية الأندلسي(1422)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

8. أبو حيان الأندلسي، محمد ابن يوسف(1993)، تفسير البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. الأزوري، محمد بن حمود بن محمد (1423)، المرشد في الوقف والابتداء، جامعة أم القرى، المملكة السعودية.
10. الأشموني، أحمد بن عبد الكريم(1983)، منار الهدى في الوقف والابتداء، دار المصحف، دمشق.
11. أعراب سعيد(1968)، أبو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب، مجلة دعوة الحق، ع4، س11، الرباط.
12. الألويسي، شهاب الدين السيد محمود(1415)، روح المعاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
13. الباقولي، علي بن الحسين(1987)، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، ت: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
14. توناني زكريا(2010)، الوقوف الهبطية . دراسة وصفية تحليلية ، مجلة إذاعة القرآن الكريم، ع17، س4، الجزائر .
15. حجي محمد(1996)، موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي . بيروت.
16. الداني، أبو عمرو بن عثمان بن سعيد(1987)، المكتفى في الوقف والابتداء ، ت: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
17. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم(1988)، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت.
18. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(2006)، تفسير الكشاف، دار الفكر، بيروت.
19. الساعاتي، إلياس بن أحمد(2000) ، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء بعد المائة الثامنة، ت: محمد تميم الزعبي، ط1، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، السعودية.
20. السبت، خالد بن عثمان(2003)، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير، ط1، دار ابن القيم ، المملكة السعودية، دار ابن عفان-القاهرة.
21. السجاوندي، أبو عبد الله محمد بن طيفور(2006)، علل الوقوف، ت: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، ط2، مكتبة الرشد، السعودية.
22. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط ، دار القلم . دمشق.
23. الشوا أيمن(2000)، الجامع لإعراب جمل القرآن، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، دار الفيحاء، بيروت.

### الوقف الهبطية بين الصناعة النحوية والمعنى القرآني

24. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2000)، تفسير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
25. العابدين ابن حنيفة (2006)، منهجية أبي جمعة الهبطي في وقوفه، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر.
26. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (2002)، إملاء ما من به الرحمن، ، ت: نجيب الماجدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.
27. الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء الصلحاء من فاس، ت: د. الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني. ضمن الموسوعة الكتانية في تاريخ فاس، الرباط.
28. مخلوف، محمد بن محمد (1350)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة.
29. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (1992)، القطع والائتلاف، ت: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط1، دار عالم الكتب، المملكة السعودية.
30. النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ، ت: سيد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز.
31. الهبطي محمد بن أبي جمعة (1991)، تقييد وقف القرآن الكريم، ت: الحسن بن أحمد الوكاك. ط1،